

السريان ودورهم في إعلان دمشق والثورة السورية

مجد وهيبة⁽¹⁾

أولاً: المقدمة

تعد سورية من الدول التي تضم عددًا من الأقليات في المنطقة، ومن ضمن هذه الأقليات المسيحيون السريان. يتناول هذا البحث دور السريان السوريين في الحياة السورية بعامة، والساحة السياسية بخاصة، وما قاموا به في (إعلان دمشق) أول تجمع للمعارضة السورية الداخلية، وموقف المسيحيين السريان منه، وما تعرضوا له بانضمامهم إلى (إعلان دمشق). ويعنى البحث في قسمه الثاني بالأحزاب السريانية السياسية وانتماءاتهم والتشكيلات العسكرية التابعة لهم، والدور الذي لعبه السريان في الثورة السورية، والتحالفات التي شاركت فيها هذه الأحزاب. وبذلك يجيب البحث عن بعض التساؤلات التي تثار في الوقت الحالي عن الأقليات في سورية، هل كان السريان ورقة في يد النظام السوري يعبر بها عن حمايته الأقليات أو كانوا جزءًا من المعارضة السورية؟ وهل كان لهم دور فاعل في الثورة السورية؟ هذا ما سوف نحاول الإجابة عنه في هذا البحث.

يعيش السريان اليوم أقلياتٍ في بعض مناطق سورية والعراق إلى جانب العرب والكرد، ويعبرون عن أنفسهم من خلال بعض الأحزاب السياسية الصغيرة، والجمعيات الثقافية التي تناضل للخروج بالسريان سالمين من صراعات منطقة تغلي بالحروب. تقدر مصادر غير رسمية ((عدد السريان في سورية بـ 200 ألف))⁽²⁾، يتوزع وجودهم على الجزيرة السورية وحلب وحمص ودمشق. من ضمن نحو مليون ونصف مليون مسيحي، وما يزالون حتى اليوم يمارسون طقوسهم الدينية، ويتحدثون بلغتهم السريانية في كنائسهم المنتشرة في محافظة الحسكة بصورة أساس. وفي عام 1957 استطاع السريان أن يوحدوا صفوفهم ضمن كيان سياسي (المنظمة الأثورية الديمقراطية) التي تعد أقدم حزب سياسي سرياني في سورية، ويتركز وجودها في مدينة القامشلي، يقودها حاليًا (داوود داوود).

مع وصول حزب البعث إلى السلطة في سورية مع شعاراته القومية (أمة عربية واحدة) واستفراده بالسلطة الحاكمة، تعرض السريان مع بقية مكونات الشعب السوري للاضطهاد والملاحقات الأمنية، ويرى بعض الناشطين السريان أن حزب البعث اتبع سياسة (تعريبية) تجاههم، وحارب ثقافتهم،

(1) كاتب سوري.

(2) عمر عبدة، الطوائف المسيحية في سوريا، (دمشق: دار حسن ملص، 2003)، ص 107.

ومنعمهم من المشاركة السياسية، ففي عام 1987 اعتُقلت غالبية قيادات المنظمة وحُقق معهم. وقد حققت المنظمة أول إنجازاتها على الساحة السياسية في انتخابات 1990 حين استطاع مرشح المنظمة (بشير سعدي) الفوز بمقعد برلماني.

ثانياً: إعلان دمشق

كان ثمة أسباب عدة أدت إلى إعلان دمشق، منها داخلية، بعد وصول بشار الأسد إلى الحكم خلفاً لأبيه عام 2000 بعد تعديل الدستور، وأوضاع البلاد الاقتصادية المتردية، والقبضة الأمنية وقانون الطوارئ، وحصر السلطة في مجموعة محددة، إلى جانب أسباب خارجية منها حرب العراق، والمخاوف من امتدادها إلى سورية، وانسحاب الجيش السوري من لبنان بعد اغتيال (رفيق الحريري) واتهام سورية بقتله؛ سادت في المجتمع السوري عامة، وبين المثقفين خاصة، حال من الاستياء، ما دفع فئة من المثقفين المعارضين للسلطة الحاكمة إلى البحث عن خريطة للخروج من هذا الوضع المتردي، فكان (اعلان دمشق). ((تميز إعلان دمشق بأنه أول إعلان معارض يصدر عن جهات سورية معارضة في الداخل السوري بعد أن كانت هذه البيانات من اختصاص المعارضة في الخارج))⁽³⁾، وما يميزه أيضاً نوع الأحزاب الموقعة عليه، فقد ضم الأحزاب العلمانية والإسلامية والمسيحية إضافة إلى الأحزاب الكردية؛ وبذلك كان يشبه وثيقة جمعت غالبية أطياف المجتمع السوري حول التغيير الديمقراطي الذي تحتاج إليه البلاد. وبعد كثير من المشاورات والاجتماعات السرية بعيداً عن القبضة الأمنية تم التوصل إلى وثيقة ضمت خمسة عشر بنداً تعبر عن صيغة تخرج البلد من الفوضى والفساد المنتشرين في أجزائه جميعها. فقد تم التوافق على الأسس الآتية:

1. ((النظام الوطني الديمقراطي، القائم على الحوار والاعتراف بالآخر، هو الأساس لأي إصلاح سياسي.
2. نبذ العنف والفكر الشمولي تحت أي ذريعة كانت.
3. اعتبار التراث الإسلامي المكوّن الأساس، مع الحرص على ثقافة وخصوصية وعقائد الآخرين، والانفتاح على الثقافة المعاصرة.
4. ليس لأي كان دور استثنائي.
5. اعتماد النظام الديمقراطي القائم على مبادئ الحرية وسيادة الشعب.

(3) محمد سيد رصاص، «انقسام المعارضة السورية»، الأخبار، (2013) <https://bit.ly/3rhsjZ>.

6. بناء دولة حديثة بعقد اجتماعي حديث ودستور ديمقراطي وتداول السلطة سلمياً.
7. تمكين جميع مكونات الشعب السوري من المشاركة بحرية في عملية التغيير.
8. ضمان حرية وحقوق الجماعات والأقليات القومية دستورياً.
9. تسوية الملف الكردي، على قاعدة وحدة سورية أرضاً وشعباً. والالتزام بتحرير الأراضي المحتلة، والتأكيد على دور سورية العربي والإقليمي الفعال.
10. إلغاء قانون الطوارئ والأحكام العرفية والمحاکم الاستثنائية، وجميع القوانين ذات العلاقة، وما نتج عن ذلك.
11. حصر مهمة الجيش في صيانة استقلال البلاد، والحفاظ على النظام الدستوري، والدفاع عن الوطن والشعب.
12. إلغاء الهيمنة الأمنية والحزبية على المنظمات والاتحادات والنقابات.
13. ضمان الحق في العمل السياسي لجميع مكونات الشعب السوري.
14. توثيق الروابط الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية مع المنظومة العربية، وتأكيد الانتماء العربي.
15. الالتزام بجميع المعاهدات الدولية وشرعة حقوق الإنسان، مع التأكيد على العمل ضمن إطار الأمم المتحدة، والمجموعة الدولية⁽⁴⁾.

هذه البنود التي تم التوافق عليها بين الفرقاء السياسيين كانت سبباً في الفرقة مجدداً بين أعضائه، وخاصة في البنود الأول والثالث والتاسع، وذلك لأن البند التاسع تناول القضية الكردية بصورة عامة من دون أي توضيح لطريقة الحل وأليته، ما أدى إلى معارضة بعض الأحزاب الكردية للوثيقة، وانسحاب الباقي في ما بعد، وخاصة عندما بدأت انتخابات قيادة (إعلان دمشق) في 2007. أما البند الثالث فقد كان عقبة في انضمام الأحزاب المسيحية إلى المبادرة، كونه ينص على أن الإسلام هو المكون الأساسي من دون ذكر المكون المسيحي، ما أدى إلى تأخر قبول انضمام (المنظمة الأثورية) إلى المبادرة، فقد انضمت (المنظمة الأثورية الديمقراطية) إلى الموقعين على وثيقة إعلان دمشق بموجب البيان المشترك بين المنظمة الأثورية الديمقراطية واللجنة المؤقتة لإعلان دمشق بتاريخ 7 كانون الثاني/ديسمبر 2006. أما البند الأول على الرغم من موافقة الإخوان المسلمين عليه وتأييدهم

(4) محمد الشيخ أحمد، «إعلان دمشق للتغيير الوطني الديمقراطي»، موقع صور، (2021)

إعلانَ دمشق وبنوده جميعها، ومن ضمنها البند الأول الذي ينص على الاعتراف بالآخرين بغض النظر عن انتماءاتهم وخلفياتهم، إلا أن جماعة الإخوان بدأت بالابتعاد عن إعلان دمشق بعد عام 2007، عندما شكلت مع نائب الرئيس السابق عبد الحلیم خدام جبهة الخلاص الوطني. أثارت انتخابات قيادة إعلان دمشق في 2007 صراعًا حادًا بين (المعارضة التقليدية) من الفصائل اليسارية والقومية بقيادة حسن عبد العظيم وهيثم مناع من جانب، و(المعارضة الجديدة) ممثلة بجناحين أحدهما إسلامي والآخر من مرحلة ربيع دمشق بزعامة رياض الترك ورياض سيف. وخلال هذه المعارك على الزعامة بين عامي 2007-2009، هُمّشت الأحزاب الكردية والسريانية، على الرغم من التنكيل الذي طال قيادتهم من قبل النظام السوري. تركت بعض الأحزاب الكردية إعلان دمشق من أجل العمل مع أحزاب الوحدة الوطنية الكردية (حزب الاتحاد الديمقراطي (PYD)، والحزب الديمقراطي الكردي السوري (P.D.K.S))، مع بقاء عدد من الأحزاب الكردية.⁽⁵⁾ أما المنظمة الأثرية الديمقراطية، فقد استمر حضورها في إعلان دمشق الذي انتقل ليشكل المجلس الوطني السوري في إسطنبول عام 2011، ولها حصتها من المقاعد في المجلس. كان رد فعل الحكومة أمنياً بامتياز، حيث وجهت الحكومة عددًا من التهم للمشاركين بهذا الإعلان، وقبضت على عدد منهم، طالت الاعتقالات 14 عضوًا من أعضاء المجلس الوطني المعقود، بينهم رئيس الأمانة العامة ورئيس المجلس الوطني. حوكم المعتقلون، وأمضوا عامين ونصف العام في السجن، من مثل فداء الحوراني وعبد الكريم الضحاك ورياض سيف وجبر الشوقي وعلي العبد الله وأحمد طعمة وأكرم البني وميشيل كيلو وكبرئيل موشيه كورية وآخرون.

هذه الردود من قبل الحكومة السورية على هذا الحراك السياسي من قبل المعارضة الداخلية ((أدت إلى زيادة سقف المطالب السياسية بالتغيير، وأصبحت مطلبًا جماهيريًا واضحًا بعد الانتفاضة السورية عام 2011. ومن الدعوات إلى الانتقال السياسي التدريجي والسلمي، والمطالبة بالممارسات الديمقراطية، والمساواة بين جميع المواطنين؛ تحولت المطالبات إلى الانتقال السياسي الشامل حتى المنصب الرئاسي نفسه، وتعديل الدستور، وإجراء انتخابات حرة وديمقراطية تحت إشراف الأمم المتحدة))⁽⁶⁾.

يمكن عدّ إعلان دمشق تجربة فريدة في الساحة السياسية السورية المعارضة، فقد استطاع القائمون عليه أن يوحّدوا بين الأحزاب السياسية متعددة المشارب - فمنها الإسلامي والمسيحي والعلماني من جهة، والقومي والوطني من جهة أخرى - في صنع كيان سياسي موحد للمعارضة يجمع

(5) أُسس عام 2011 ويضم: ((الحزب الديمقراطي الكردستاني في سورية البارتّي، والحزب الديمقراطي التقدمي الكردي في سورية، وحزب الوحدة الديمقراطي الكردي في سورية يكتبي الكردي، وحزب المساواة الديمقراطي الكردي في سورية...)). للمزيد راجع: مركز مالكوم كير كارنيغي، «المجلس الوطني الكردي في سورية»، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، (2021). <https://bit.ly/3rcWcQn>

(6) طارق ناصيف، تجليات الحوكمة الراشدة، (إسطنبول: مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2020)، ص 71.

طموح هذه الأحزاب والتيارات جميعها، وأمالها في بناء دولة حديثة ذات دستور ديمقراطي يسهم في تداول السلطة، ويسعى للنهوض بالمجتمع في النواحي الاقتصادية والعلمية وغيرهما. إن التوافق والتشارك والعمل المشترك هو تحدي السوريين الرئيس اليوم، ليستطيعوا تجاوز آثار الحرب التي دمرت البنية التحتية والاقتصادية والاجتماعية للشعب السوري، وهجرت أبناءه في دول العالم معظمها.

ثالثاً: الحركة السياسية السريانية وتحالفاتها

عبر السريان السوريين منذ استقلال سورية حتى اليوم عن أنفسهم في المستوى السياسي من خلال أحزاب عدة، أقدمها المنظمة الأثورية الديمقراطية التي جمعت غالبية السريان ضمنها، وتفرع عنها الحزب الديمقراطي الأثوري ليعبر عن الأثوريين الشرقيين، ولاحقاً تشكل حزب الاتحاد السرياني وحزب سورية الديمقراطي.

1. المنظمة الأثورية الديمقراطية

تأسست عام 1957، وهي أول منظمة يشكلها السريان السوريون بهدف حفظ مصالحهم الدينية والقومية والمحافضة على لغتهم من الضياع. وتعد مدينة القامشلي مركزاً لها، كونها تحتضن أكبر عدد من منتسبيها. وهي محسوبة على المعارضة السورية السياسية منذ نشأتها، لوفق أعضاؤها من قبل حكومة البعث، واعتقلوا بين عامي 1986 – 2006 خاصة. انضمت إلى إعلان دمشق عام 2006، واعتقل بعض أعضائها، إلا أن هذا الأمر لم يثنيها عن معارضتها النظام السوري، فمع بداية الثورة السورية عام 2011 انضمت المنظمة إلى قوى المعارضة في تشكيل المجلس الوطني، ومن ثم الائتلاف المعارض، ((إذ حصل المسيحيون السريان على 3 مقاعد في المجلس الوطني، وتلا ذلك تأسيس مجلس منبثق عن المجلس الوطني وهو المجلس السرياني السوري في إسطنبول))⁽⁷⁾. واستمرت المنظمة مع حركة المعارضة السورية، فكانت أحد مكونات الائتلاف السوري الذي تشكل في الدوحة عام 2012. يقول عبد الأحد اسطيفو، ممثل المنظمة في الائتلاف: ((إن المنظمة كانت التنظيم السياسي الأول الذي ظهر في صفوف السريان الأثوريين، ليس في سورية فحسب، وإنما في دول الشرق الأوسط أيضاً، انخرطت المنظمة في أطر المعارضة بدءاً بالمجلس الوطني وصولاً إلى الائتلاف الوطني لقوى

(7) محمود أبو السمّن، «المعركة لأجل الشمال في سوريا والعراق: المسيحيون كفاعلين جدد»، أواصر مجلة فكرية فصلية،

<https://bit.ly/3BDbuuz>, (2017)

الثورة والمعارضة، وشاركت في جولات عدة من جنيف))⁽⁸⁾. أدى نشوب الثورة السورية سنة 2011 إلى انقسام داخلي في المنظمة بين من طالب الرئيس السوري بشار الأسد بالتنحي وتأسيس ديمقراطية في سورية، وهؤلاء وقعوا على إعلان دمشق؛ وآخرون طالبوا بعدم المشاركة بالتظاهرات بحجة أن لمنظمها توجهات تسعى لإقامة دولة إسلامية وإعطاء حكم ذاتي للأكراد بمنطقة الجزيرة السورية. حيث أكد تيار الإصلاح في المنظمة من خلال بيان له: ((في هذه الأيام العصيبة التي تمر على سورية يجب أن نكون حكماء لا نزلق إلى مواقع قد لا تفيد شعبنا)).⁽⁹⁾ وبعد سيطرة الإدارة الذاتية على منطقة الجزيرة، واستفادها بالحكومة المشكلة في المنطقة، عارضت المنظمة تحكّم حزب العمال الكردستاني عبر واجهته السورية (حزب الاتحاد الديمقراطي) بالمجلس الوطني الكردي، وهو غير موجود في الإدارة الذاتية، لكنه عضو في جبهة السلام والحرية، وسعت إلى تكوين تحالفات مع الكيانات الأخرى، وهو ما نتج عنه جبهة السلام والحرية في تموز/ يوليو 2020 في مدينة القامشلي. دخلت المنظمة أيضاً في الحوار السرياني الثلاثي مع حزب الاتحاد السرياني والحزب الديمقراطي الآشوري من أجل توحيد الخطاب السرياني في الساحة السورية.

لم تكن المنظمة الأثرية بعيدة عن الخلافات الداخلية بين أعضائها، ولأنها كيان قومي ديني، أدى الخلاف بين أتباع الكنيسة الشرقية وأتباع الكنيسة الغربية إلى الانفصال بينهما، وتشكيل الحزب الديمقراطي الآشوري.

2. الحزب الديمقراطي الآشوري

تأسس الحزب الديمقراطي الآشوري في عام 1978 بوصفه مجموعة سريانية (شرقية) انشقت عن المنظمة الأثرية الديمقراطية (الغربية)، وكان الانفصال بسبب الاختلافات مع السريان الغربيين. من المؤسسين فيه (آدم حومة)، أما رئيسه الحالي فهو (نينوس ايشو). يقع مقر الحزب في القامشلي، وقد انحاز بصورة عامة إلى جانب حكومة الأسد منذ التسعينيات على نقيض المنظمة الأثرية. مع اندلاع الثورة السورية وقف الحزب مع الميليشيات الحكومية في حلب والقامشلي ودعم ميليشيات السوتور المقاتلة مع الحكومة. توصل الحزب الديمقراطي الآشوري إلى اتفاق مع حزب الاتحاد الديمقراطي، والذي بموجبه سيصبح حرس الخابور والناطوره القوة الأمنية الوحيدة في القرى السريانية في وادي الخابور، في حين وافق الحزب الديمقراطي الآشوري على دعم مشروع الفدرالية في سورية الذي يقوده

(8) فريق التحقيقات، «الآشوريون في سوريا.. أقلية عرقية تقاوم فيضان الحرب»، عنبلدي، (2018)، <https://bit.ly/3cckuBl>.

(9) المنظمة الأثرية الديمقراطية، «بيان المنظمة الأثرية الديمقراطية- تيار الإصلاح»، عنكاوا دوت كوم، (2011).

حزب الاتحاد الديمقراطي (حزب العمال الكردستاني). شارك الحزب في محادثات سوتشي للسلام في كانون الثاني/يناير 2018 التي قررت تشكيل لجنة دستورية سورية لحلّ الأزمة السياسية. في 2018 أعلن الحزب الديمقراطي الأثوري تشكيل قيادة عسكرية موحدة للناطوره وحرس الخابور، تُعرف القوة الموحدة باسم (قوات آشور).

3. حزب الاتحاد السرياني

أسس في 2005 وظهر حزب (الاتحاد السرياني) في أوروبا، وفي عام 2008 ظهر حزب بالاسم ذاته في لبنان، وبعد أشهر من اندلاع الثورة في العام 2011 ظهرت أولى البيانات والمنشورات العلنية لهذا الحزب في محافظة الحسكة. من أجل تمثيل الهوية السريانية في المشاورات السياسية الداعية إلى إنهاء الحكم الأسدي لسورية، وبذلك يعد منذ تأسيسه من أحزاب المعارضة السورية. وأكد في بياناته أن سبب الأزمة الاقتصادية والسياسية في سورية هو النظام، وذلك لاعتماده على الحل العسكري والأمني ورفضه أي حل سياسي أو مشاركة في الحكم. ودعا إلى مقاطعة الانتخابات 2007 حتى يتم الانتقال السياسي الديمقراطي السلمي للسلطة، والوصول إلى سورية الحرة مع ديمقراطية تعددية ولا مركزية. انضم حزب الاتحاد السرياني إلى (هيئة التنسيق) المعارضة، وانسحب منها ليسهم بتأسيس (المجلس السرياني الوطني السوري) إلى جانب شخصيات وقوى سريانية أخرى في إسطنبول في 2012، وأعلن المجلس الوليد بلسان رئيسه (يسام سعيد إسحق) عضو المجلس الوطني المعارض موقفه المناهض للنظام، وتأييده الثورة السورية والعمل الجاد. وهذا الحزب يعمل اليوم مع الإدارة الذاتية التي يقودها حزب الاتحاد الديمقراطي.

وفي المجال العسكري شكل الحزب قوات (السوتور) (الحماية باللغة العربية)، وكذلك المجلس العسكري السرياني، وضم التشكيلان نحو 200 من الشبان السريان، يعتمدون كلياً على (وحدات حماية الشعب) (ypg) التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي في التسليح والتدريب والتمويل، ولا يمكن عدّهم فصيلاً عسكرياً مستقلاً عن هذه الوحدات.

4. حزب سوريا الديمقراطية

انطلق فعاليات المؤتمر التأسيسي للحزب 2021 يقوده رئاسة مشتركة للحزب بين (احو حنا) و(مادلين خميس). والحزب من المعارضين للتدخل التركي في سورية، ويحتج في الدول الأوروبية على ما يعدّه هجوماً على المناطق السريانية، وتهجيراً لأهلها. ويملك هذا الحزب علاقات وطيدة مع الحزب

الاتحادي الديمقراطي الكردي، فقد كان أول المرشحين بنشأته، وكان توقيت إعلانه بعد انطلاق الحوار (السرياني - السرياني) الذي يهدف لتوحيد الأحزاب السياسية السريانية بتمثيل سياسي واحد. وهو الأمر الذي لا يصب في مصلحة الإدارة الذاتية المشار إليها، لذلك فإن تاريخ إعلان الحزب ((بعد مرور أشهر على انطلاق الحوار السرياني، يضع إشارات استفهام كثيرة حول جدوى تأسيس حزب (سرياني) جديد في المنطقة، في ظل وجود ثلاث قوى كانت تسير في حوار تفاهم لتحقيق تطلعات سريان وآشوريّ سورية لمستقبلهم السياسي في المنطقة))⁽¹⁰⁾.

ومثلما تبين سابقاً، تعددت الأحزاب السياسية الأثورية بتعدد المصالح والانتماءات، على الرغم من البرنامج السياسي نفسه بين هذه الأحزاب، فكلها تدعي تمثيل الهوية السريانية للشعب السرياني، والعمل على تنظيمه وتميئته للمشاركة بفاعلية في الحياة السياسية وإدارة الدولة، ونقل سورية إلى مستقبل أفضل ضمن نظام ديمقراطي تعددي، ولتقوية دور الفرد في المجتمع، وممارسة حقه بشكل ديمقراطي للنهوض بمجتمع مبني على أسس ديمقراطية يحترم حقوق الإنسان والقوانين الدولية. إلا أنها اختلفت بطريقة الوصول إلى هذه الأهداف، ويظهر ذلك جلياً عند الحديث عن التشكيلات العسكرية لهذه الأحزاب. فقد تسلحت هذه الأحزاب بعد أن فشلت المعارضة السياسية في وقف القتل والتهجير على الأرض، إضافة إلى رغبة النظام وحزب الاتحاد الديمقراطي في تسليح المسيحيين، وتسابقهما على ضمهم في صفوفهما. وكانت الغلبة للحزب المذكور، ولا سيما بعد الهزائم التي مني بها النظام في الحسكة، والتضييق على السريان لاستخدامهم لغتهم بدلاً من العربية في طقوسهم الكنسية بخلاف مسيحي المدن الأخرى الذين يستخدمون اللغة العربية. فاستخدام السريانية يعني الاحتفاظ بالهوية المسيحية المشرقية، بينما استخدام العربية يعني رضوخاً للتيار القومي الحاكم في سورية، ((الأمر الذي سمح لهم بالتحرك العسكري على أساس الهوية السريانية، وبنسخ التجربة الكردية عبر تشكيل قوات حماية داخلية ملء الفراغ الأمني في المناطق التي استطاعوا التحرك فيها في ضوء قلة التمويل واضطراب القدرات التسليحية والتجنيد))⁽¹¹⁾. إن خوف المجتمع السرياني الآشوري من تطور الوضع الأمني شمالي سورية دفعهم إلى تشكيل قوات ومراكز عسكرية للدفاع عن الوجود المسيحي في المنطقة.

(10) عبد الله البشير، «غموض بشأن حزب «سوريا» وتأثيره على الحوار السرياني»، العربي الجديد، (2021).

<https://bit.ly/3nKFMve>

(11) محمود أبو السمّن، « المعركة لأجل الشمال في سوريا والعراق: المسيحيون كفاعلين جدد»، أواصر مجلة فكرية فصلية، (2017). <https://bit.ly/3BDbuzz>

رابعاً: التشكيلات العسكرية للسريان

1. قوات السوتورو

نشطت هذه القوات في عام 2012 في مدينة القحطانية شمالي الحسكة بقيادة السويسري (يوهان كوسر)⁽¹²⁾، وقد تشكّلت من متطوعين سريان بهدف حماية المناطق الداخلية ضمن ما أُطلق عليه (شرطة السوتورو)، وأعلن تشكيل قوات (السوتورو) رسمياً في 2013، وقدمت نفسها على أنها قوات تهدف إلى حماية المناطق المسيحية في الجزيرة السورية من هجمات (جبهة النصرة) وتنظيم (الدولة الإسلامية)، وتضم آشوريين وسرياناً. قوات السوتورو تقسم إلى فصليين؛ الأول يتبع النظام السوري، وينضوي عناصره في (مجلس السلم الأهلي) التابع للسريان الأرثوذكس، ويتلقون مبالغ مالية من النظام بصورة مباشرة، وتتركز مهمتهم على الحواجز المنتشرة في مدينة القامشلي، ولا سيما حي الوسطى ذا الغالبية المسيحية. وبعد قرار من (هيئة السلم الأهلي الأرثوذكسي) المؤيدة للنظام غيّرت قوات السوتورو اسمها إلى (مكتب الحماية السرياني)، أما الفريق الآخر فيتبع (PYD)، وينضوي عناصره في (حزب الاتحاد السرياني)، ويتركز نفوذه في المالكية والقحطانية شمالي شرق القامشلي، وفي المدينة أيضاً، ويتلقى العناصر دعمهم المالي والعسكري من وحدات حماية الشعب التابعة لـ (PYD)، ويعاملون معاملة عناصر الوحدات الأصليين. لا يقتصر العمل العسكري لـ (السوتورو) التابعة للنظام السوري على القامشلي والمناطق المحيطة بها فقط، بل شارك جزء منها في معارك قوات الأسد بريف حمص الشرقي ومحيط العاصمة دمشق. وفي تشرين الثاني 2015 انتقل جزء من القوات إلى مدينة صدد ذات الغالبية المسيحية شرقي حمص، وشارك في التصدي لهجوم تنظيم (الدولة الإسلامية). إن دوافع انتساب الشباب المسيحيين في القامشلي إلى سوتورو النظام تأتي لحل مشكلة الخدمة الإلزامية، إذ لا يستدعون إلى الاحتياط، ولا يلاحقون أبداً. يتولى قيادة جناح القوات التابع للنظام القيادي (سركون شمعون)، بينما يتأرض القيادة (ملكي رابو) الجناح العسكري التابع لـ (PYD)، وتتركز أعماله بصورة أساس مع الجهاز الأمني (أسايش). وكان للسوتورو دور بارز في العمليات العسكرية ضد تنظيم الدولة الإسلامية، وخاصة في ريف الحسكة الجنوبي. وإلى جانب الدعم الذي تتلقاه القوات من النظام و(PYD)، فإن القوات تعتمد على جمع تبرعات من رجال الأعمال وأصحاب الشركات المسيحيين، والجانب الأكبر من الأموال تأتي من المسيحيين المغتربين في أوروبا. قرر الاتحاد الأوروبي أيضاً دعم المجلس العسكري السرياني السوري. وفي 2014 أسس (السوتورو) أول أكاديمية عسكرية آشورية (سريانية)، وسميت أكاديمية الشهيد (أغا بطرس) في منطقة القامشلي، وأتبع

(12) وُلد «يوهان كوسر» في سويسرا، وهو مواطن سويسري، غير أن أجداده ينحدرون من أصول سورية، وعائلته تنتهي إلى الطائفة المسيحية السريانية، سافر إلى سورية للعمل صحافياً حراً، وساعد في تأسيس المجلس العسكري السرياني.

الجناح الذي يتلقى دعمًا عسكريًا من قوات الأسد. تنتشر قوات (السوتورو) في مدن الحسكة والقامشلي والمالكية والقحطانية إلى جانب 30 قرية تقع على مجرى نهر الخابور بدءًا من جنوب رأس العين شمالاً، وصولاً إلى جبل عبد العزيز جنوباً⁽¹³⁾.

2. المجلس العسكري السرياني

المجلس العسكري السرياني هو ميليشيا مسلحة تشكل الجناح العسكري لحزب الاتحاد السرياني، وتعدّ جزءًا من قوات سوريا الديمقراطية. شاركت قوات المجلس في عدد من الهجمات ضد داعش إلى جانب وحدات حماية الشعب الكردية. تعد قوات (حماية نساء بيث نهرين⁽¹⁴⁾) للمشاركة في قتال داعش) قوات نسائية رديفة للمجلس العسكري، وشاركت بعمليات عدة ضد تنظيم داعش في شمالي شرق سورية. وبعد معركة تل حميس في الحسكة 2014 أعلن المجلس العسكري السرياني انضمامه إلى قوات الحماية الكردية، ودعم قيام الإدارة الذاتية بضمّان حق الوجود الأثوري، ما أدّى إلى زيادة موجات العسكرة داخل المكوّن الأثوري والسرياني بعد بروز حليف قوي جديد على الساحة. في 2015، دعا البرلمان الأوروبي (الحلفاء) إلى تقديم الدعم الفوري للمجلس العسكري السرياني وقوات الحماية الكردية ضد تنظيم الدولة.

حراس الخابور: تأسست قوات حراس الخابور عام 2012، يقدر عدد أعضاء قوات حرس الخابور بين 75 إلى 150 عنصر ويتبع للحزب الديمقراطي الأثوري. وهي قوة دفاعية ضعيفة تنشط على ضفاف نهر الخابور شرقي محافظة الحسكة السورية وغربها، تتكون من متطوعين آشوريين محليين، ويسيطر عليها الخطاب التعبوي الأثوري القومي. يقودها (روئيل سولاقا)، وتعمل مع مجلس (حرس الخابور الأثوري) الذي يرأسه (شمعون كاكو)، وتتلقى دعمًا عسكريًا من الإدارة الذاتية على الرغم من وجود تأييد نسبي للنظام السوري في صفوفها، فهي تُعبّر عن عمليات النظام بصفتها (تحريرًا). شارك بعضهم في معارك (قوات سوريا الديمقراطية) بالسيطرة على مدينة منبج. وشارك بعضهم الآخر في حملات أخرى عدة، وفي عام 2019 اندمجوا مع المجلس العسكري السرياني لتشكيل المجلس العسكري السرياني الأثوري⁽¹⁵⁾.

(13) فريق التحقيقات، «الأشوريون في سوريا.. أقلية عرقية تقاوم فيضان الحرب»، عنب بلدي، (2018)، <https://bit.ly/3cckuBl>.

(14) سيد مصطفى، «سريان سوريا، أو الأقلية المنسية في منطقة الإدارة الذاتية»، رصيف 22 (2019)، <https://bit.ly/3kGuFCO>.

(15) ويكيبيديا، «الحزب الأثوري الديمقراطي»، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، (2021)، <https://bit.ly/3kKZuq1>.

3. قوات الناطوره

اتخذت من (اللجنة الشعبية للحرس الأشوري) مسمى لها، ويقودها (روبرت ايشو). وتتبع الحزب الديمقراطي الأشوري، لا يوجد تاريخ محدد لظهور قوات الناطوره، ويقدر عدد أفرادها بـ 100 - 200 عنصر. تنفي الكنيسة الأشورية في سورية تمثيلها أي جهة عسكرية، كما تنفي وجود أي اتفاق أو تحالف لها مع أي فصيل عسكري، وعلى الرغم من هذا النفي تشرف قوات الناطوره ومجلس الخابور الأشوري على حماية المراسيم الكنسية والاحتفالات المسيحية بحضور رموز أشورية دينية⁽¹⁶⁾. وفي 2018 أعلن الحزب الديمقراطي الأشوري تشكيل قيادة عسكرية موحدة للناطوره وحرس الخابور، ستعرف القوة الموحدة باسم (قوات آشور).

أما على مستوى التحالفات التي قامت بها الأحزاب السياسية السريانية في الوقت الحالي، فيمكن ذكر تحالفين لهما أهمية سياسية في الساحتين الداخلية والدولية، وهما:

أ. **جبهة السلام والحرية:** في منطقة شرق الفرات، شكّلت ما تسمى (جبهة السلام والحرية) السورية عام 2020، ضمت أربعة كيانات سياسية، وهي المنظمة الأثورية الديمقراطية، والمجلس الوطني الكردي، وتيار الغد السوري، والمجلس العربي في الجزيرة والفرات، ضمن حراك سياسي جديد تشهده منطقة شرق الفرات الخاضعة لسيطرة (قوات سوريا الديمقراطية). وهذا التشكيل كان رد فعل لسيطرة حزب الاتحاد الديمقراطي على المنطقة، ومن ثم كان محاولة من أعضائه الضغط من أجل تحقيق مكاسب سياسية، والمشاركة في إدارة المنطقة. ((تتمتع جبهة الحرية والسلام بعدة نقاط قوة تمنحها حظوظاً وافرة للتفاعل ضمن المشهد السياسي سواء من تواجدٍ فعلي على الأرض وعدم انخراط أطرافها في إشكاليات مجتمعية وعسكرية محلية أو إقليمية، وتمتعها بعلاقات إيجابية مع العديد من الأطراف الدولية، وتواجدها ضمن أطر المعارضة الرسمية مما يمنحها حضوراً على المشهد الدولي))⁽¹⁷⁾. مع تأكيدهم أن قيام هذا التحالف لا يؤثر في استمرار عضوية الأطراف المشكّلة لها في الأجسام والمؤسسات السياسية السورية المعارضة، بل يندرج عملها في إطار التكامل مع جهودهم. وهم مقبولون جميعهم لدى فرنسا والولايات المتحدة الطرفين الرئيسيين في التحالف الدولي، بما في ذلك تركيا. تقوم هذه الجبهة على عدد من المبادئ، كان من أهمها الإقرار الدستوري بأن سورية دولة متعددة القوميات والثقافات والأديان، والشعب السوري يتكون

(16) الحزب الديمقراطي الأشوري، « بيان القيادة العامة لقوات آشور»، الحركة الديمقراطية الأشورية، (2018).

<https://bit.ly/3FLmDQU>.

(17) بدر ملا رشيد، « جبهة السلام والحرية.. رجاءً بالفاعلية بواقع متخّم بالتحديات »، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، (2020)، <https://bit.ly/3w1KqIU>.

من عرب وكرد وسريان آشوريين وتركمان وغيرهم، تؤكد الجبهة التزامها الاعتراف الدستوري بهوية الشعب الكردي القومية، وعدّ القضية الكردية جزءاً أساساً من القضية الوطنية، اللامركزية الأسلوب الأمثل في إدارة البلاد مع المحافظة على وحدة الأراضي السورية لحماية التعدد القومي والثقافي، سورية جمهورية ديمقراطية تعتمد مبدأ فصل الدين عن الدولة، وتكون محايدة تجاه القوميات والأديان كافة، تعترف بحرية الأديان والمعتقدات، وتضمنها، بما فيها الديانة الإيزيدية. وقد قدمت الجبهة مقترحات للتفاوض مع النظام لإنهاء الصراع السوري، تقوم على تقاسم السلطة، ومنح منطقة الجزيرة إدارة ذاتية تتبع دمشق ضمن سورية الموحدة. ما عدته المعارضة السورية عودة إلى حضن الوطن مع بقاء نظام الأسد⁽¹⁸⁾.

ب. الحوار السرياني – السرياني: مع بداية الثورة السورية عام 2011 كان هناك حوار بين الأحزاب السريانية السورية لتوحيد الآراء السياسية السريانية، واتخاذ موقف موحد للسريان السوريين إزاء الثورة السورية، لكن هذا الحوار فشل بعد سلسلة لقاءات مشتركة في الوصول إلى تشكيل إطار سياسي يجمعها للإعلان عن رؤيتها لمستقبل سورية، علمًا بأن التجمّع الديمقراطي الأشوري كان حاضرًا في الإنقاذ بإسطنبول. وفي عام 2021 دخلت ثلاث قوى سريانية سورية، وهي حزب الاتحاد السرياني، والحزب الأشوري الديمقراطي، والمنظمة الأثرورية الديمقراطية في حوار داخلي (سرياني – سرياني)، على نهج الحوار (الكردية – الكردية)، يهدف إلى التوحيد تحت مظلة العامل (السرياني)، وتمثيل السريان سياسيًا ودستوريًا في سورية، وتجري جلساته في القامشلي- محافظة الحسكة. يواجه هذا التحالف العقبات نفسها التي تواجهها الأحزاب السورية جميعها (التموضع السياسي)، فالمنظمة الأثرورية مع الائتلاف المعارض، والاتحاد السرياني مع الإدارة الذاتية، والأشوري الديمقراطي مع النظام السوري. لكن تستبعد هذه الأحزاب أن يكون هذا الأمر ((عائقًا أمام الوصول إلى تحالف سياسي على أمل الوصول لاحقًا على ضوء الحوارات لتشكيل مظلة قومية جامعة بين كافة الأحزاب والمؤسسات السريانية الأثرورية في سورية))⁽¹⁹⁾. وتنفي هذه الأحزاب أي دور أميركي في إقامة هذا الحوار، لكن كونه جاء على غرار الحوار الكردي – الكردية، وفي التوقيت نفسه، يمكن أن يفسر بأنه رغبة أميركية في عدم استفراد حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي في المنطقة، وما يدل على هذا إنشاء حزب سرياني رابع هو حزب سوريا الديمقراطية الموالي للإدارة الذاتية في القامشلي، من أجل تعطيل الحوار السرياني. لقد تأثر المجتمع السرياني بالثورة السورية على غرار السوريين

(18) لمزيد من التفصيل عن المبادئ السياسية لجبهة السلام والحرية: ولائي نيوز، «جبهة الحرية والسلام تعلن وثيقها السياسية»، (2020)، <https://bit.ly/3FgMhgm>.

(19) عبد الله بشير وسلام حسن، «الحوار السرياني.. ثلاث قوى تبحث توحيد خطابها ورؤيتها لمستقبل سورية»، العربي الجديد، (2021)، <https://bit.ly/3bHXSby>.

جميعهم، فطاله القتل والتهجير والنزوح، واضطر إلى الدفاع عن نفسه كبقية مكونات المجتمع السوري. فالأنظمة الاستبدادية قائمة على الحزب الواحد، والقبضة الأمنية التي تخلف الكره اجتماعي لتلك الأنظمة، وتؤدي إلى الانفجار المجتمعي ضدها، و((كنتيجة حتمية للممارسات القمعية للأنظمة الاستبدادية ولسياسات بعض القوى الإقليمية والدولية، عبر استخدام هذا التطرف أداة للوصول إلى أهدافٍ أخرى أو لتحقيق مصالح معينة خاصة بكلٍ منه)).⁽²⁰⁾ حاولت الأطراف المتصارعة ضم المكون السرياني إلى طرفها لجلب مزيد من التأييد لنفسها على حساب القوى الأخرى. وكان للدول الإقليمية الداعمة الدور الأكبر في إطالة زمن الأزمة السورية، فبحسب مؤسسة راند للدراسات الاستراتيجية في تقريرها عن الأزمة السورية ((تهدف المساعدات المالية والعسكرية التي تتدفق إلى سورية من الدول الراحية والمجاورة مثل إيران وروسيا وليبيا والمملكة العربية السعودية وقطر وغيرها من دول الخليج العربي إلى تحديد نتيجة الصراع بين تحالف غير ثابت يجمع الفصائل المتمردة من ناحية، ونظام بشار الأسد من ناحية أخرى. ولكن بدلاً من ذلك، يؤدي هذا الدعم الخارجي إلى إدامة الحرب الأهلية القائمة داخل البلد وإشعال نزاعات إقليمية واسعة النطاق بين المناطق السنية والشيعة تستطيع إعادة تشكيل الجغرافيا السياسية في الشرق الأوسط)).⁽²¹⁾ هذه التدخلات من الأطراف الإقليمية في الثورة السورية أدت إلى تدويل القضية السورية، وخاصة أنها جاءت بطلب الأطراف المتصارعة، ما يحول بوصلة الثورة عن اتجاهها الذي قامت من أجله، وتتحول إلى ((حرب بالإنابة تدار لمصلحة قوى خارجية - إقليمية وعالمية- تعمل على تأجيج الصراع، وتمنع التوافق بين المتحاربين في سبيل مصالحها. هذا التوصيف ينطبق على واقع النزاع المسلح في سورية، بسبب التدخل الفعلي-المباشر وغير المباشر- لقوى إقليمية ودولية، أو دعمها للمليشيات وجماعات مسلحة سورية وأجنبية)).⁽²²⁾

(20) سعيد لحدو، «السريان الآشوريون: القدر التاريخي وثورات الحاضر»، مجلة صور، (2015)، <https://bit.ly/3bDVI20>.

(21) ويليام يونغ، امتداد الصراع في سورية، عمر الشاهري (مترجماً)، (كاليفورنيا: مؤسسة راند، 2014)، ص 14.

(22) نزار أيوب، الآثار القانونية المترتبة على النزاع المسلح في سورية، (إسطنبول: مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2019)، ص 17.

خامساً: الخاتمة

يمكن عدّ الرؤية السياسية للأحزاب السريانية التي تقدمت بها كخريطة الطريق التي يمكن أن توصل سورية دولة موحدة إلى بر الأمان. فإنهاء العنف والخوف والظلم والتمييز بناء على الهوية الدينية أو القومية -وهي العوامل التي أدت إلى الانقسام الاجتماعي واللامساواة والتشوهات الديموغرافية والنزوح القسري والحرمان من التعليم وتراكم العبء الصحي وانتشار الفقر- من ضمن الأولويات في أي تفاهم قادم بين أطراف النزاع. ويعد تفكيك هياكل الاستبداد السياسي والعسكري والعصبيات واقتصاديات النزاع حجر الزاوية في التغلب على المأساة، وضمان عدم تكرارها في المستقبل. وعلى الأحزاب السياسية في التجمعات والمناطق السكانية جميعها أن تكون جهات فعالة في تشكيل المؤسسات العامة المستقبلية التي تضمن حقوقها وفرصها. وذلك لأن الشروط الأساس للنجاح في كل مشروع أو مبادرة هي المشاركة والشفافية والتضامن والكفاءة لكسب ثقة المجتمع أولاً، وضمان اعتماد سياسات ناجحة في المستويات الاقتصادية والاجتماعية كافة.

المصادر والمراجع

1. عبدة عمر، الطوائف المسيحية في سورية، (دمشق: دار حسن ملص، 2003).
2. يونغ ويليام، امتداد الصراع في سورية، عمر الشهاري (مترجمًا)، (كاليفورنيا: مؤسسة راند، 2014).

